التكنولوجيا معضلة اجتماعية
Technology is a social dilemma

مقال / إعداد

ا.م.د محمد عبد الهادي الجبوري
A.Prof. Dr. Muhammad Al-Jubouri
علم النفس الأجتماعي
Social Psychology
أكاديمية شمال أوروبا للعلوم والبحث العلمي
Northern European Academy
Mfss64@yahoo.dk

المستخلص

يستخدم في وقتنا المعاصر الملايين من البشر وسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا الرقمية، حتى أصبحت هذه الوسائل جزء لايتجزء من الحياة اليومية للبشر ، وباتت هي الشغل الشاغل لاكثرنا ، حتى باتت تستهلك الكثيرمن أوقاتنا، ان هذه التكنولوجيا والمتمثلة بوسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت تتحكم بنا بحيث بدات بتغير سلوكياتنا الحياتية والاجتماعية حتى وصلنا الى مرحلة الإدمان على إستعمالها، واقترب الخطر من أطفالنا وطريقة إحساسهم بمحيطهم الإجتماعي وماتفرزه هذه المواقع من طريقة تفكير وإتصال بالغير جعلت العوائل تحس بحالة عجز عن كيفية مكافحة هذا التحول الإجتماعي لإطفالها ، ان مخاطر وسوء الإستخدام المفرط لهذه التكنولوجيا جعلنا نسلط الضوء على هذه المخاطر بهذه المقالة .

الكلمات المفتاحية: وسائل التواصل الأجتماعي

Abstract

Millions of people use social media and digital technology these days, so that these means have become an integral part of human daily life. It has become a major concern for most of us and consumes a lot of our time. This technology represented by social media has become controlling us so that it began to change our life and social behaviors until we reached the stage of addiction to its use. This social trans formation for her children. The dangers and disadvantages of excessive use of thistechnology made us highlight these dangers in this article, which is based on a documentary film.

Keywords: social media

من منا لايمتلك هاتفاً ذكياً أكثرنا بل كلنا نمتلك هذا الجهاز الذي أصبح جزء من شخصيتنا،أو نحتفظ بحسابات على مواقع تويتر وإنستجرام وفيسبوك وغيرها من مواقع ومنصات التواصل الإجتماعي، وإننا في كثير من الأوقات وجدنا أنفسنا وفي أكثر من مناسبة نتجاهل صديقًا –أو أحد أفراد عائلتنا– يجلس معنا في نفس الغرفة لأننا منهمكين تمامًا في عالمنا التكنولوجي الاجتماعي الخاص، أن هذه التكنولوجيا لن تجعلنا نشعر بالوحدة أو الملل أبدًا، ولكنها في بعض الاحيان تعرضنا الى مواقف محرجة تصل الى حد السخرية منا ، ويمكن أن تجعلنا أقل إنتباهًا لأقرب الأشخاص إلينا، وربما تجعل من الصعب علينا الاختلاء بأنفسنا قليلًا، وكثيرٌ منا يخشى الإعتراف بذلك ، تقول شيري توركل –من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا–: "لا نزال نعيش علاقة رومانسية مع هذه التكنولوجيا.

أصبحنا مثل الشباب العاشق الذي يخشى إفساد علاقاته العاطفية بالتحدث عنها". وقد أجرت توركل مقابلات شخصية مع مئات الأشخاص من مختلِف الأعمار، وسألتهم عن أستخداماتهم للهواتف الذكية والأجهزة اللوحية ومواقع التواصل الإجتماعي والشخصيات الإفتراضية (الأفاتار) والروبوتات على عكس الاختراعات السابقة التي أحدثت طفرة ، كآلة الطباعة أو التليفزيون، فترى توركل هنا أن هذه التكنولوجيا "دائمة الاتصال، ودائمة التمحور حول الذات" تهدد بتقويض بعض نقاط القوة الأساسية التي يمتلكها البشر والتي يحتاجون إليها للازدهار، وان أحد التغيرات الأساسية التي نشاهدها في بعض المواقف ، مثل أن الناس فقدوا القدرة على تحمل البقاء بمفردهم ، فمثلا في أحد محطات الانتظار وطوابير الدفع في محلات السوبر ماركت، أو أنتظار شخص في مكان ما أو الجلوس في حافلة أو قطار، فأنه بمجرد أن يكون لدى أي شخص ثانية واحدة فقط من الفراغ سرعان ما يتجه ليمسك هاتفه ويبدأ بالحث أو اللعب به ، جميع الأبحاث تقول إن قدرة الأفراد على تحمل البقاء بمفردهم تتلاشى، وما يحدث هو أننا نفقد تلك اللحظة التي كنا نستغرق فيها في أحلام اليقظة أو في تأمل الذات، ولكن الأطفال على وجه التحديد يحتاجون إلى الانفراد بأنفسهم شيئًا ما، فهذه العزلة مطلوبة لإقامة حوار مع النفس. فالقدرة على البقاء مع نفسك واكتشافها هي أحد العناصر المهمة للنمو، لكن ما يحدث الآن أن الأطفال الصغار –ومنذ الصغر– تتاح لهم وسائل التكنولوجيا التي تشتتهم وتحرمهم الاختلاءَ بأنفسهم، ومن المثير للسخرية أن هذا يجعل من الأصعب عليهم إقامة علاقات إنسانية حقيقية التي من المفروض عليهم اقامتها في بدا حياتهم. ان بدايات إنشاء هذه المواقع والتي أريد بها من مؤسسيها أن تكون حلقة وصل إجتماعية بين البشر للتعرف على أصدقاء والبحث على أصدقاء قدامى أو البحث عن أقارب متباعدين لمعرفة أخبارهم أو حتى لتكوين علاقات إجتماعية جديدة الهدف منها زيادة النسيج الإجتماعي للبشر ، لكن وبمرور الزمن والتطور الهائل في تكنلوجيا هذه المواقع أصبحت هذه المواقع ربحية وتهدف لجلب أكبر عدد من الزبائن للجلوس لفترات أطول على هذه المواقع الهدف منها زيادة ضخ الاعلانات الممولة، من هنا بدات المشكلة في سوء إستخدام هذه الوسائل والابتعاد عن الاهداف الخيرة التي من المفروض أن تسير اليها أو أنشات من أجلها .

تعتبر هذه المواقع بمشغليها وموظفيها القلائل بالقياس الى المردود المالي الكبير التي تجنيها، فقد أصبحت مواقع تدر الأموال من كم الإعلانات التي تدفع الثمن وليس الموقع أو مشغلي الموقع ، حتى أصبحت هذه المواقع تتنافس فيما بينها لكي تحوز على أكبر عدد من المستخدمين حتى أصبح هدفها الاول ليس إلا إبقاء أكثر عدد من الناس على مواقعها ولجذب أكبر عدد من الناس تبتكر في كل وقت من الأساليب التي تجعل وتحفز مستخدميها البقاء لفترات طويلة على منصات هذه المواقع، حتى باتت شركات الأنترنت من أكثر

الشركات على الاطلاق ربحية في عصرنا هذا، فمنذ أول رسالة اليكترونية ارسلت عام 1969 من قبل أحد الأساتذه وهو((ليونارد كلايدروك)) في جامعة كاليفورنيا الى أحد طلابه لتجربة أول رسالة اليكترونية، الى عام 1983 وهو عام دخول الانترنت الى الخدمة الفعلية والى يومنا هذا التي يستخدم فيه الناس مليارات الرسائل اليومية وتصفح العديد من المواقع والبحث في مواقع البحث العملاقة ، فقد أصبحت هذه المواقع تبحث عن عوامل السرعة والكفاءة وتطوير أجيال الترددات السريعة حتى باتت مصدر قلق للبشر من كثرة منصات الارسال وأبراج الاتصالات لزيادة السرعة والكفاءة لديها ، حتى أصبحت هذه المواقع تتصدر الشركات العملاقة الأكثر ربحية على مدى التاريخ البشري.أما أهداف هذه المواقع فتظهر من خلال ما تتيحه وسائل التواصل الاجتماعي لمستخدميها من إمكانية التواصل مع بعضهم البعض، ويُعدّ ذلك من أكثر مزايا إستخدام تلك المواقع أهمية ، إذ يُمكن من خلالها التواصل مع أفراد العائلة والأصدقاء أينما كانوا بغضّ النظر عن الحدود الجغرافية التي تفصل بين المستخدمين، أو حتّى توفر أدوات الاتصال التقليدية لديهم ، كأجهزة الهواتف الأرضية وصندوق البريد، فكلّ ما يتطلبه الأمر وجود جهاز كمبيوتر أو هاتف محمول متصل بالإنترنت ، بالإضافة إلى وجود حساب على أيٍّ من تلك المنصّات الاجتماعية؛ كالفيس بوك وتويتر على سبيل المثال ، كما تعد وسائل التواصل الاجتماعي ذات أهمية كبيرة في حياة الكثير من الطلاب؛ حيث تُسهّل تواصل الطلاب مع معلميهم ، وتزيد من سهولة نقل المعلومات وتبادلها، لذا فإنّها تُعدّ أداة تعليمية فعّالة الأمر الذي دفع العديد من الباحثين المختصين بمجال تكنولوجيا التعلم إلى التأكيد على أهمية استغلال الإنترنت، والإستفادة من مواقع التواصل الإجتماعي في عملية التعليم ، وعليه أدّى التزايد المُستمر في إستخدام هذه المواقع من أجل التعلم إلى الانتباه لأهمية تطوير أدوات التعلم عن بعد ، كماتساهم وسائل التواصل الإجتماعي بشكلٍ كبير في الحصول على آخر أخبار العالم ، ومتابعة الأحداث الجارية ، حيث لم يعد الجلوس أمام التلفاز بإنتظار نشرة الأخبار أو الحصول على صحيفة ورقية للإطلاع على ما يجري حول العالم الطريقة الوحيدة للحصول على آخر الأخبار والمستجدات، حيث يُمكن متابعة كلّ شيء في هذا العصر باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، بل إنّها توفّر أيضاً إمكانية تحديد نوع الأخبار التي تُهمّ المستخدم ليتم إشعاره بها، بالإضافة إلى ذلك تُعدّ وسائل التواصل الإجتماعي من أسرع الأدوات في نشر الأخبار والمعلومات المهمة خلال ثوانٍ من حدوثها، لكن هناك أيضا أهداف أخرى لهذه المواقع أريد من منشئيها الوصول اليها من خلال:

التفاعل: والذي يعتبر من الخطوات المهمة التي يطمح اليها القائمين على هذه المواقع وذلك لزيادة إستخدام البشر لهذه المواقع ومواصلة تمرير كل ماينشر على هذه المواقع ، ان التفاعل المنشود هو الابقاء قدر الامكان

واستغراق الوقت الاطول على هذه المواقع .

النمو: المقصود بالنمو هو زيادة وإستقطاب أكبر عدد من المستخدمين وذلك بجعل الامر يدعونا الى دعوة العديد من الاصدقاء لهذه المواقع وهؤلاء الأصدقاء يدعون الغير وهكذا وذلك باستخدام أساليب لزيادة عدد المتابعين. .

الاعلانات: أن الهدف المهم المنشود من هذه المواقع الان هو زيادة الكم الإعلاني الممول والذي عن طريقه تحقق الربحية الهائلة فكلما كبر عدد المتابعين زادة مداخيل الاعلانات,وكلما كبر حجم الاموال التي تجنيها هذه المؤسسات التكنلوجيا ، وهذا يتم بطريقة تدعم بطرق حسابية خوارزمية وهذه العمليات الحسابية وظيفتها معرفة مايجب أن يعرض لنا لزيادة هذه الأرقام ، حتى بات شكل الإعلان وطريقة نوع الإعلان هي التي تحدد إدخال أكبر قدر من الاموال لهذه المواقع. ان الانتشار الكبير لوسائل التواصل الإجتماعي وسهولة إستخدامها والوصول إليها جعلنا نلاحظ تأثيرها الكبير في نسيج المجتمع وتوجهات الناس، حتى أذواقهم ولباسهم ومشترياتهم وأصواتهم الانتخابية ومزاجهم العام ، ولربما الأجدر بنا في هذا الزمان أن نطلق على شبكات التواصل الاجتماعي مصطلح (دكتتاورية التوجيه الناعم) حيث بدأت تؤثر في كل مفاصل حياتنا دون أن نشعر هناك فكرة لدى مُلاك هذه المواقع عن كيفة التلاعب بنا عند الحاجة ولزيادة مداخيل الإعلانات ، حتى على نطاق الدول يتم التلاعب برواد هذه المواقع عن طريق زيادة الفديوات والاخبار التي تجذب أكبر عدد من المشاهدين، بالاضاهة الى تتبع مستخدمين هذه المواقع والتي تخصص لكل مستخدم رقم يمكن تتبعه ومعرفة مايبحث عنه وعما يريده من خلال طريقة بحثه في المواقع ، حتى بات الامر من الأهمية ولزيادة التحكم يقومون بارسال حوافز معينه للمستخدمين بشكل صور أو أشعارات أو فديوات لحث السلوك والتاثير عليه ، أن ميزة إستخدام هذه المواقع بالنسبة للشباب وهي الشريحة الأكثر إستخداماً لهذه المواقع وللتاثير عليهم عن طريق تحفيز السلوك , فهناك طرف أخر أو طرف ثالث غير مرئي هو المتحكم بالاثنين لان هذا الطرف هو الذي يملك كل حسابات الاشخاص ويعرف أين يتجهون من خلال كم الفديوات والاشعارات التي يتلقاها ، بهذه الطريق يمكن للطرف الثالث التحكم بالاشخاص وهذا الطرف الثالث هو طرف غير مرئي لكنه مسيطر على كيفية تحفيز السلوك لدى الاثنين، حتى بات هذا المتحكم قد شكل إطاراً لايمكن من المستخدمين مغادرته ، وكما هو معروف أن من يتحكم بالاهداف يتحكم بالنتائج ، وعن طريق هذه الاطارات فقد أنشأ جيل من الشباب الذي تمت تربيتهم داخل إطار أو حيز اليكتروني إن صح القول حتى أصبح معنى التواصل والثقافة هي بيد المتحكم الثالث، حتى وضع المتحكم تقنية متقدمة بما فيها الكفاية لايمكن أن نميزها عن السحر والإنجذاب اللاإرادي نحو المتحكم الغير

مرئي، إن عملية السحر والخداع التي يستخدمها السحرة ماهي إلا تأثير في أعصابنا ونفسنا وحتى تصل الى السيطرة على عقولنا وجذبها نحو الساحر الذي يعتبر هنا هو المتحكم ، واعتبر علماء النفس والاعصاب من الاوائل الذين فهموا كيفية عمل عقل الانسان والتاثير به ، ان السحرة في عملهم لهم دراية في جزء من عقولنا يمكن التاثير بها لم نكن نعرفها، وقد يستغلوا هذه النقطة لستفادوا منها للخداع ، لهذا نرى خدعهم السحرية تنجح ، وهذا الشيء نفسه قد تم إستغلاله من قبل أصحاب منصات التواصل الإجتماعي أو متحكمين هذه المنصات وبداو بتوظيفه وفهم سيكولوجية ماينفع الناس وتحويله الى تكنلوجيا ، ولإنجاح هذا جعلوا من التكنولوجيا أكثر إقناعاً ، فتكنولوجيا الإقناع عباره عن نوع من التصميم المطبق عن عمد الى أقصى الحدود, وحيث يراد تعديل سلوك شخص ما وجعلهم رهن سلوكيات مقصودة مثل تحريك شاشة الجهاز من الاعلى الى الاسفل, وفتح المواقع والضغط على اللايك، كل هذه السلوكيات ليست إعتباطيه وانما مدروسة بعناية وهذا يسمى بعلم النفس(التعزيز المنقطع الايجابي)، والذي هو جعلنا اذا سحبنا الشاشه من الاعلى الى الاسفل فسوف يخرج شيء مبهج أخر لا يستطيع الانسان أو المتصفح مقاومته وهكذا، وهنا المتحكم لايريد الاكتفاء باستخدامنا للمنتج بوعي بل يريد التوغل في جذع الدماغ وزرع في داخله عادة غير واعية بحيث يتبرمج الانسان على مستوى عميق لدرجة إننا لاندرك ذلك، ولهذا أن أجهزة التلفون الان مثل اللعبة التي تريد اللعب للفوز فتنتظر نهاية اللعبً، كذلك الأجهزة فانك تنظر اليها كل الوقت ظناً منك أنها تحمل اليك شيء جديد، وهذا ليس بمصادفة بل هذه تقنية في تصميم هذه المواقع ، لان هناك متخصصين من المهندسين وظيفتهم إختراق سيكولوجية الناس وصولاً لنمو أكبر في هذه المواقع ، هناك أمور في غاية الخطورة هو أن هذه المواقع وعن طريق معرفة نقاط الضعف في عقولنا قد استغلوها هؤلاء المبرمجين لكي تؤثر بسلوكنا اليومي وطريق حياتنا عن طريق التلاعب بنا وحتى التحكم في تفكيرنا وطبيعتنا والهدف هو كم الاعلانات ، ان المتحكم بنا أو *الطرف الثالث* الغير مرئي قد أنشئوا ودربوا جيل كامل من الناس على الشعور بعدم الراحة والوحدة ، والشك، والخوف، حتى الوصول الى حالة الضعف والوهن في قدرتنا على التعامل مع الغير وبالاخص أجيال المراهقين، فقد أبدع مهندسوا هذه المواقع في إختيار شكل الايقونه لكل موقع وحتى الاشعارات الداخلية من ضغط الإعجاب ، الى طلب الصداقة ، الى المشاركة الى غيرها من التطبيقات، كلها أتت عن طريق دراسة هندسية نفسية للتاثير وحتى يصل الحال من السلطة والتاثير عليهم عن طريق هذه الوسائل، وكذلك اللعب على قدرة الناس على الادمان على هذه المواقع أو التأثر بها،ان الاجيال التي ولدت مابعد 1996 هم أول جيل يستخدم وسائل التواصل الاجتماعي في المدارس الاعدادية، وحتى بعد عودتهم من المدرسة يستخدمون هذه الوسائل حتى أصبح الامر وكأنه بحالة توحد معها،

فاصبح جيل أكثر قلقاً وهشاشة واكتئاب، حتى إن تفاعلهم (الرومانسي) أصبح بليد ومنخفض بصورة كبيرة، وهذا كله تغيير في الجيل والسيطرة عليهم وعلى وعيهم حتى أصبحت هذه احدى العواقب الاجتماعية التي تتسائل العوائل عما حدث لاطفالهم، ان هذه الوسائل أصبحت اداة لتغير النسيج الإجتماعي وتغير نمط معيشة الاجيال، مما ولد عوائل مصابة بالصدمة والرعب لما يحصل لإطفالهم وهم لايعرفون أن أطفالهم ضحية مصممي هذه المواقع وانهم متلاعبون بهم من قبل هؤلاء أو هذه التكنولوجيا الى الحد الذي يجعل الطفل يقارن نفسه بخوارق، أو واقع غير موجود ويريد أن يحاكيه ، وكذلك يضعون أنفسهم بمقاييس جمالية غير واقعية فرضتها هذه التكنولوجيا، فهذه معركة غير متكافئة ، **إذ** إن التطور التكنولوجي المتزايد في العالم نحو المزيد من الإنفتاح ، فإتسع الحيز العام، وتقلص الحيّز الخاص ، وتغلب الإنسان على الحدود الجغرافية ببناء علاقات افتراضية عبر شبكة الإنترنت، إلا أن ذلك يختلف فيما يخص العلاقات السياسية الدولية وكما في العالم "الواقعي" هناك حاجة دائمة لتنظيم العلاقات بين البشر، وحفظ أمنهم، وحماية ممتلكاتهم من الانتهاكات، فأصبحت الحاجة للأمن الإلكتروني وعملية الحماية من هذه المواقع وتنظيم عملها أصبح أولوية في الوقت الذي يعتمد فيه الإنسان والمجتمع والدول على الوسائل التكنولوجية لتسيير كل أمورهم.

لكن علينا إدراك أهمية الوعي وبناءهذا الوعي الذي يحصن عقولنا من الانجرار بشكل مسيطر عليه، لأننا بهذا ننظر إلى غد أفضل، حيث إن الاستيعاب الكامل لهذه السيطرة التكنولوجيه تبدأ من الاهتمام ببناء الوعي وهو الفهم والإدراك السليم ويأتي هذا من نشر المعرفة الصحيحة، وكذلك إعمال العقل وبالتالي نجد أننا أمام عملية عقلية يستطيع خلالها الإنسان أن يفهم ويدرك بشكل سليم ليحلل ويقارن لاتخاذ القرار السليم، وأضافة الى أن الوعي لا يقتصر فقط على ما نعانيه من مشاكل خاصة بـ"الشائعات ، أو الانزلاق بالانضمام لاشياء لانعرف مصدرها"، وإنما بالوعي الذي يشمل كافة جوانب حياتنا، فنحن بحاجة إلى أن نقوم ببناء الوعي من كافة الجوانب الحياتية، وكذلك بناء الوعي لدى الطفل من ناحية الإرشاد والتعليم، وأيضا توعية الشباب كيف يفكر ويتخذ قرار سليم، فإذا أردنا التغيير والتطوير وانتظار غد أفضل علينا ببناء هذا الوعي والتحذير من الانجرار الى افكار مشوشة تسيطر على كافة وسائل التواصل الاجتماعي. أن العقل البشري والمستوى الجسدي لن يتغير بشكل جذري بالقياس الى طفرات التقدم الهائلة لتلك التكنولوجيا , وان المعركة الغير متكافئة بين البشر وبين هذه التكنولوجيا والحواسيب العملاقة التي لديها اهداف غير اهداف حياتنا كبشر, وفق التناسق العقلي والجسدي الذي نحمله والذي لم يطرأ عليه تغيير بعكس هذه التكنولوجيا التي أصبحت تقفز بطفرات لايمكن للعقل البشري من إستيعابها أو الظفر بها ، نعم إن البشر هو من أوجد هذه التكنولوجيا لكن خروجها عن سيطرة عقولنا وتغيير أهدافها بطرق حسابية معقدة لايجاد أكثر منفعة مادية ربيحة مرجوه وهذا ماخطط له صناعها ،

فان هذه الحواسيب العملاقة وارتباطها فيما بينها طول الوقت جعل من السيطرة عليها أو مواكبتها بعقليتنا واجسادنا تبدوا غير متكافئة وهي كذلك. أن مانغفله أو يغفله أكثرنا أن الذكاء الإصطناعي هو الذي يدير العالم حتى على الرغم من انه منجز بشري إلا أن هذه التكنولوجيا التي صممت لخدمة البشر أصبحت لديها أهداف غير الاهداف التي وجدت من أجلها والتي أستغلها مالكي هذه المواقع لدر الاموال، فقد أصبحت هذه الشركات العملاقة في هذا المجال مثل فيسبوك وكوكل يتلاعبون بنا بالطريقة التي يريدونها لزيادة النمو الذي تحدثنا عنه ، أي زيادة مداخيل الاعلانات وهذا لاياتي الا بزيادة الاعضاء المستخدمين لهذه المواقع ، فاصبح الاشخاص عبارة عن حقول تجارب لهذه المواقع وهم لايدركون ذلك فقد استخدمت فيسبوك مثلا تقنية وهي اشارات مبطنة في صفحاتها لجعل المزيد من الناس يميلون الى جهة معينة على حساب الاخرى وهذه ميزة استغلت مثلا في الانتخابات ، وبعد تجارب هذه الاشارات المبطنة على المستخدمين إستنتجوا شيئاً واحد أنهم يمكنهم التاثير على السلوك وعواطف العالم الحقيقي من دون إثارة وعي المستخدم ، وهذا يتم عن عن طريق إجراءات هندسية عكسية لإستنباط ردود فعل المستخدمين، اي انهم يريدوا أن يعرفوا من الناحية السايكولوجية كيفية التلاعب بنا عن طريق الذكاء الاصطناعي بأسرع مايمكن، ثم يعطونا ماندمن على إستعماله مستغلين نقاط ضعف عقولنا واستغلالها عن طريق التحكم يها بواسطة التكنولوجيا، لقد إنتقل العمل الى خلق بيئة قائمة على التلاعب والإدمان بعد أن كانت قائمة على الادوات، اصبحت هذه التكنولوجيا في معركة وجود غير متكافئة مع البشر فهي لديها كل المعلومات عنا وبالوقت نفسه نجهل الكثير عنها، اصبحت هذه الوسائل ليست أدوات تنتظر ان تستخدم بل لها أهداف خاصة بها وأيضا وسائلها الخاصة لتحقق منها المطلوب فقد استغلت هذه التكنولوجيا سيكلوجيتنا ضدنا .

المراقبة والترصد .

أصبحت مواقع التواصل الإجتماعي أو تكنولوجيا الأنترنت تحاصرنا بدرجة أكبر يوماً بعد يوم وهي تحكم قبضتها على مصيرنا بدرجة لم يعد بالإمكان الإفلات منها، وأننا ننزلق بشكل متسارع إلى عهد رأسمالية جديدة تسعى لتسيير البشر وتحويلهم إلى بيانات ومصدر للإيرادات ، وفي كل الاوقات يتواصل تدفق البيانات التي يغذيها البشر الى هذه الحواسيب العملاقة والتي تقوم هي بالمقابل بمعرفة سلوكنا عن طريق الانترنت والتطبيقات الالكترونية وملاحقة خارطة تحركاتنا من خلال الأجهزة الذكية التي نحملها والكاميرات المنتشرة في كل مكان والقادرة على التعرف على الوجوه ، وهنا لابد من القاء الضوء على حالة البشر الان من خلال إستخدامهم المفرط لهذه المواقع الالكيترونية ، ذلك النموذج اكتسب ملامحه الشرسة من خلال توفير خدمات مجانية يتلقفها ويستمتع بها مليارات الأفراد، وهي تمكن مقدمي تلك الخدمات من مراقبة سلوك المستخدمين بتفاصيل مذهلة ودون موافقتهم الصريحة في كثير من الأحيان. وترى (زوبوف) إن رأسمالية الترصد تستخدم التجارب الإنسانية كمادة خام مجانية وتترجمها إلى بيانات سلوكية رغم أنها تستخدم بعض البيانات في

تحسين خدماتها، إلا أنها تحصل في النهاية على ثروة بيانات يتم إستثمارها في سياسات التصنيع المستقبلية، وتعرف تلك العملية باسم "الاستخبارات الرقمية" وهي تستخدم لتحديد ملامح المنتجات التي يمكن أن تلقى رواجا لدى المستهلكين في المستقبل، وتضيف زوبوف أن تلك المنتجات المتوقعة أصبح لها سوق أطلقت عليه "سوق العقود الآجلة للسلوكيات" والذي اتسع الاستثمار فيه بشكل هائل .

ويجب أن نعرف حقيقة إن كل شيء نستخدمه عن طريق الانترنت وهذه المواقع يراقب ، مثل تصفح الصور والفديوات والفترة الزمنية التي نستغرقها حتى على وقوفنا على الصورة او عدد مشاهدات الفديوات كلها تخضع للرقابة والقياس، وحتى طريقة التفاعل معها، حتى باتت هذه المواقع تعرف مابداخلنا إذا يعترينا حالات إكتئاب أو الشعور بالوحدة ، فمثلا حين تتصفح الصور القديمة أو تذكر أصدقائك القدماء أو حتى الاقارب والاهل عن طريق تصفح هذه الصور تعرف هذه التكنولوجيا الاحساس الداخلي لكم والى أين يتجه شعوركم ، أيضا هم لديهم تصور عن كل واحد منا مايفعله في الليل سواء كان منشرح أو إنطوائي واذا كان متعرض لاضطراب عصبي ، حتى نموذج شخصيتنا أو نمطها كل هذا فهم لديهم تصور كامل عن كل واحد منا، ان كل المعلومات والبيانات التي تغذي بها هذه التكنولوجيا تخزن في هذه الانظمة التي تكاد لايوجد إشراف بشري عليها، وهي تقوم بتقديم التوقعات عما سنفعله وعن طبيعتنا. هناك إنطباع خاطئ لدى أكثرنا بأن بياناتنا ومعلوماتنا الشخصية من الممكن أن تباع ، هنا لابد من التوقف والتفكير بأن هذه الشركات العملاقة والتي تستفيد من هذه البيانات لدر الأموال ليس من مصلحتها بيع بيانات مستخدميها، فاذا مافعلوا ذلك فانهم يخصرون جانب مهم عن بيانات تستخدم لفرض إرادة متحكمة بنا تفقد خاصية بناء نماذج تتوقع أفعالنا، كل بيانات إستخدامنا لهذه المواقع هي تستخدم لبناء نماذج لمعرفة ردود أفعالنا وكيفية تغذيتها بفديوات وبيانات وافلام للتاثير علينا وبعدها ضخ كم من الاعلانات المدفوعة الثمن. وفي الوقت الذي يبدو فيه سلوك شركات مثل غوغل وفيسبوك معروفا على الأقل من قبل الخبراء، فإن الصورة الأوسع التي تعرضها (زوبوف) لما وراء ذلك السلوك لا تزال مجهولة إلى حد بعيد، وتشير إلى أن معظمنا كان يعتقد أننا نتعامل مع مجرد خوارزميات غامضة ، في حين أننا في الواقع نشهد آخر مراحل التطور الطويل للنظام الرأسمالي، الذي أنتقل من تصنيع المنتجات إلى الإنتاج الواسع والرأسمالية الإدارية ثم إلى الرأسمالية المالية ، فقد أصبحت هذه التكنولوجيا وهذه المواقع الاجتماعي لها من الاثار الخطيرة على كل المجتمعات ، حتى أصبحت أدات لتمزيق وتشتيت النسيج الإجتماعي حتى على نطاق الاسرة الواحدة ، لتؤثر سلباً على العامل الاجتماعي أو الحس الاجتماعي لاطفالنا بحيث أصبحت علاقاتهم كلها مرهونه بهذه الاجهزة ، واصبحت هذه المواقع أداة للاقناع ، حتى أعتبرها الكثير منهم المرجع

الاجتماعي لهم ، لان هذه المواقع هي أدوات تحكم دكتاتورية رقمية غير مرئية مسيطرة ومتحكمة بالسلوك ، كذلك هناك مخاوف وأثار سلبية أخرى لهذه المواقع وهي:

*- لها الضرر الكبير على سياسات الدول وطريقة تعامل الشعب مع الحكومة, لانها اصبحت المعيار لمعرفة الحقيقة ، حتى باتت اداة لزعزعة واستقرار المجتمعات، ومسؤولة عن نشر الفوضى التامة وتقسيم المجتمع.

*- أصبحنا لانتكلم مع بعضنا كثيراً وحتى على نطاق الاسرة الواحدة حتى بات الكل غريب ومندمج مع عالمه الافتراضي الخاص به..

*- أصبحنا مسيسين ومضللين بأخبار كاذبة نتناقلها أكثر من الحقيقة ، لابل نجعل من هذه الأخبار المزيفة مقياس للحقيقة وندافع عنها.

*- تشتت الإنتباه وتغير من أنماط سلوكنا وتغيير في أنماطنا الاجتماعية والثقافية ، حتى أصبحت صداقاتنا قليلة وكلها صداقات إفتراضية.

*- مسؤولية هذه المواقع عن الفوضى الاجتماعية وقلة الثقة والغضب واللامبالاة والوحدة والاغتراب النفسي.

*- اصبحت تطبيقات هذه المواقع تجلب الاكتئاب لدى بعض المراهقين لعدم حصولهم مثلا على عدد من الإعجابات أو التفاعلات.

ملاحظة: فكرة المقال مستوحاة من فلم وثائقي. بهذا الخصوص.

المصادر:

1.شوشانا زوبوف (2019) . **عصر رأسمالية المراقبة** ، دار النشر. PublicAffairs.
2. شيري توكلي(2011) . **وحدنا معا**.
3. موقع NetFlix للافالام الوثائقية فلم بعنوان:Scoihal Delimma
4.www.lifewire.com, Retrieved 7-12-2020. Edited. ، Social Networking,